مجلة أبحاث
ISSN: 0834-2170
EISSN2661-734X
المجلد 7 / العـــــــدد: 1 (2022)، ص 336– 350

الزمن الداخلي للحدث و فلسفته الدلالية في نظم محمد الفيتوري – ديوان يأتي العاشقون إليك أنموذجا–

The internal time of the event and his semantic philosophy in the poetry of Muhammad Al-Fitouri- Collection of poems come to the beloved ones -

د.العقاب فتيحة*، جامعة زيان عاشور بالجلفة f.elaguab@univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 10 /2022/2 تاريخ القبول: 26 /2022/04 تاريخ النشر: 2022/6/2

ملخص:

يعدُّ الزَّمن اللغوي من أهم الإجراءات الأسلوبية التي استغلَّها الشَّاعر المعاصر في توليد الدِّلالات التي تتناسب ، و حالته النفسية و نوَّع فيه بين النَّحوي والصَّرفي و جاء هذا البحث بهدف الكشف عن التَّنوع الزَّمني الذي خلق الفنية و الجمالية في شعر الفيتوري من خلال دراسة ديوان (يأتي العاشقون إليك) ،و الذي وُظِف الزَّمن فيه بأشكاله الدِّلالية المختلفة .

فكيف تنَّوع التَّوظيف الزَّمني في الدِّيوان ؟ وكيف ساهم هذا التَّوظيف في تنوُّع الدِّلالات وخلق جمالية فنية ؟وللكشف عن ذلك قمنا بدراسة إحصائية للزمن في القصائد التي تضمنها الدِّيوان و حلَّلنا النَّتائج محاولين بذلك فهم العلاقة بين التَّنوع الزَّمني في الـــدِّيوان و تنوُّع الدِّلالات و كيف خلق هذا التنوع دلالات رمزية أبرزت قدرة الشاعر على خلق عوالم استفزت ذهن القارئ و أســـهمت في الكشف عن إبداعه .

الكلمات المفتاحية: الزَّمن الداخلي؛ الشِّعر؛ الدِّلالة؛ محمدالفيتوري؛ الانزياح.

تصنيف JEL : XN2، XN1.

Abstract:

Linguistic time is one of the most important stylistic measures that the contemporary poet exploited to generate significance that suit his psychological state and diversified it between grammatical and morphological times. This research came with the aim of revealing the temporal diversity that created the artistic and aesthetic in Al-Fituri's poetry through the study of the collection of poems (The Lovers Come to You), in which linguistic time was used in different forms. How is the diversification of temporal employment in the poems? How did this employment contribute to the diversity of significance and the creation of an artistic aesthetic? To reveal this, we made a statistical study of time in the poems and analyzed the results, trying to understand the relationship between the temporal diversity in the poems and the diversity of significance, and how this diversity created symbolic significance that highlighted the poet's ability to create worlds that provoked the reader's mind and contributed to revealing his creativity.

key words: internal time؛ poetry؛sémantique؛ mohamed el-fitouri؛l'écart.

Jel Classification Codes: XN1, XN2.

* **د.العقاب فتيحة**

. **مقدمة:**

يعدُّ الزمن من المقولات الفلسفية التي شغلت المفكرين ، و هي ذات أبعاد عميقة وغامضة فالزَّمن يختلف باختلاف المجال الذي وُظِّف من خلاله ولعلَّ الزَّمن الذي يهمنا هو الزمن اللغوي باعتباره أداة طيِّعة تسهم في منح النَّص الأدبيِّ جمالية مميزة و مغايرة،و يعدُّ الزَّمن اللغوي من الرَّكائز الهامة لبناء الدَّلالة .

و الشِّعر المعاصر حرَّر نفسه من قيود الرَّتابة الشَّكلية واللغوية واتخذ لنفسه بناءً تميَّز بالمغايرة والتَّنوع فاتحا المجال أمام الشاعر للتعبير عن مختلف الدِّلالات دون قيود .

و محمد الفيتوري باعتباره رائدا من رواده كان فعَّالا في خلق دلالاته النَّفسية من خلال توظيفه الزَّمن في صوره المختلفة وكان ديوان يأتي العاشقون إليك أنموذجا كاشفا لذلك التَّوظيف الزَّمني المميز إذ قمنا بدراسة إحصائية للزمن الفعليِّ في كلِّ قصائد الديوان و حلَّلنا النتائج و كان التمثيل ببعض القصائد المختارة التي جسَّدت نزوع الشَّاعر إلى الواقعية و التَّفاعل مع قضايا المجتمع بتوظيف الزَّمن اللغوي الذي ولَّد دلالات جمالية مختلفة .

2. مفهوم الزمن و انزياحه الاصطلاحي من الفلسفة إلى الأدب :

جاء في لسان العرب "الزَّمن والزَّمان :اسم لقليل الوقت و كثيره ، و في المحكم: الزَّمن و الزَّمان العصر ،و الجمع أزمن،و أزمان ، و أزمنة" (ابن منظور،دت، ص 199) ،و جاء في منجد اللغة هو " الوقت طويلا كان أو قصيرا "(معلوف ، دت،ص306).

ومقولة الزَّمن في وجهة النظر الفلسفية بسيطة معقدة في آن واحد وإذا ما رجعنا إلى الفكر اليوناني نجد أن كانط فيلسوف المثالية يرى أن الزَّمان ليس شيئاً موضوعياً واقعياً وليس جوهرا أو عرضاً من التَّرابط بين جميع الموضوعات الحسيَّة تبعاً لقانون محدود فالزَّمان بالتالي حدث صرف وما يسري على الزمان يسري كذلك على المكان (جهامي ،1968،ص 70) ، و هو بهذا يجعل المكان والزَّمان مفهومين مجرَّدين للامتداد و الديمومة الحسيين، بل هو يذهب إلى أن المكان والزَّمان هما حدسان أوليان أو صورتان خالصتان للحساسية، تنطبقان على مادة الخبرة، فتولدان تمثل الامتداد ، و الديمومة الحسّيين في حين يرى أرسطو أنه مقدار الحركة ، و هو ما يسمى بالنقلة حيث أن الزمان مرتبط بالمكان وهذه الحركة التي يتم الانتقال بها من مكان إلى آخر يتم بها تحقق الزَّمان ، و تغيُّره فالزمان هو مقدار الحركة ، و هذه الحركة إنَّما توجد بوجود المكان ، و الذي يوجد بوجود الأجسام ، و أنه اعتباريٌّ نسبي ، و أن البدن البشري هو الذي جعل للزمان محدودية ، و وعاء بما يتلاءم مع مادية الجسم فالزَّمان ذلك الجزء الجوهري من العالم الذي لا يمكن للبشر أن يشعر بجوهريته إلا من خلال التجرد من المادة فيقول: "أنِّي ربما خلوت بنفسي ، و خلعت بدني ، و صرت كأنِّي جوهر مجرد بلا بدن فأكون داخلاً في ذاتي خارجاً عن جميع الأشياء فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء ما أبقى له متعجباً باهتاً فأعلم أني جزء من أجزاء هذا العالم الأعلى الفاضل الشريف (حسين صالح ،2005،ص 264) ، و هو هنا يحدد أهم العناصر المركبة للوجود الإنسانيِّ أي الحركة ، والتغيير ، و التطور ، و هي شديدة الصلة بالزمن .

و عرَّفه هرقليطس الزَّمان ذلك الموجود الأزلي الذي هو عبارة عن التَّغير المستمر للموجودات هو بذلك مقدار للحركات و السُّرعة لهذه المتغيرات حيث قال بالمقولة الفلسفية أنَّ كلَّ شيء في تغير إلَّا التغيُّر فهو ثابت لا يتغيَّر (جهامي، 1986، ص 70) ، و هذا التغيُّر لا يحدث إلا عبر الزَّمن .

و عرَّفه أفلاطون أنه مقدار الحركة في الموجودات التي هي صورة للمتغيرات وأن الزمان اعتباري أبدي وأنه مخلوق ليس له نهاية وليس له بداية وليس له أي حيِّز وغير مقسم إلى أجزائه الثلاثة ،و إنَّما يكون كذلك عند البشر على أساس صورة الزَّمان الجوهرية لكون الجواهر لها الأعراض تعرف من خلالها فإنَّ العرض لهذا الزمان هو قياس الزَّمان ، و معرفته من خلال الحركة ، و المتابعة لكل من حركة الأفلاك يكون الزَّمان معروف المقدار عندما خلق الله هذا الكون وهذا لا يعني بعدمية الزَّمان قبل ذلك وإنما هو أبديَّته ، و أزليَّته ، و أنَّ استمراره ليس بالزَّمان و إلاَّ لزم افتقار الزَّمان إلى زمان أحر ، و إنما استمراره لأنه من قبل علة تامة ، و هو الله سبحانه وتعالى .(الألوسي ،2005،ص99)

أمَّا في العصور الإسلامية اللاحقة جمع مفهوم الزَّمن البُعدين السَّابقين، الرُّؤية الميتافيزيقية والخبرة اليومية فتأثر الكندي بالمدرسة الأفلاطونية جعله ينهج المنهج الميتافيزيقي في تفسيره للزمن، وهنا يؤخذ عليه اهتمامه المتزايد بالزَّمان الميتافيزيقي دون الالتفاف إلى الزَّمن النَّفسي الدَّاخلي للإنسان على خلاف الرَّازي الذي فرَّق بين الأزمنة الخارجية،والدَّاخلية بإبعاد الذَّمومة عن الظَّواهر النَّفسية كاللَّذة واليأس وقد تدور فكرته حول ارتباط الزَّمان بالإنسان ارتباطاً نفسيا وثيقا إلى أبعد حد (قسوم ،1986، ص 06) في حين أن ابن سينا متأثرا بأفكار الفارابي وأرسطو اعتبر الزَّمان و المكان لواحق للجسم ومرتبطا بالحركة وهو عدد الحركة بحساب المتقدم، و المتأخر، فلا وجود للزَّمان بدون الحركة (ابن سينا ، 1991،ص 63).

إلاَّ أنَّ الغزالي اختلف عن الكندي و الفارابي وابن سينا كما أبدى رفضه القاطع لتصور العلة الأرسطية في صورتيها الميتافيزيقية، والطَّبيعية ورأى أن " ما تضفيه عقولنا من معنى الزَّمان ،و المكان إلى ما وراء حدود العالم على هذا الوجه ليس في الحقيقة غير وليد أوهامنا وخيالنا،فالبعد الزمني تابع للحركة فإنه امتداد للحركة " (خطاب ،1986،ص 525).

و يعد الزَّمن اللغوي محصلة لدلالة الصِّيغ والتَّراكيب داخل الجمل، وتكمن أهميته في أنّ دراسته لا تقتصر على الصِّيغ والتَّراكيب مجرَّدة من السِّياق، بل في النَّظر إلى دلالة هاته الصِّيغ والتَّراكيب الزَّمنيّة، وفقاً للسِّياق الواردة فيه، فثمّة قرائن لفظية ومعنوية تساهم في تحديد تلك الدِّلالة الزَّمنيّة.

و قد ظهرت دراسات لغوية معاصرة كثيرة تناولت الزَّمن اللغوي، وفرّقت بين مفهومين فيه الزَّمن الصرفيّ والزَّمن النحويّ و قسَّموه حسب دلالة الصيغ والتراكيب عليه إلى ثلاثة أزمنة، وهي: الماضي، والحاضر، والمستقبل، و قد قسّم بعض اللغويين المحدثين الزمن اللغوي على شكل خط مستقيم، وجعلوا الزَّمن الحاضر هو الحد الفاصل بين الزَّمن الماضي والزَّمن المستقبل، ومثّلوا لذلك بالشكل الآتي (B, Tense, 1990,p2):

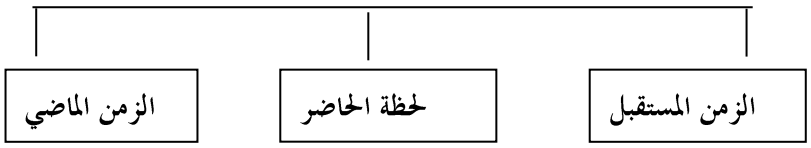

فالأحداث التي تقع على يمين لحظة الحاضر هي في الزمن المستقبل، والأحداث التي تقع على يسار لحظة الحاضر هي في الزَّمن الماضي،وترى الدِّراسة أن ثمّة زمن رابع يمكن أن يضاف إلى الأزمنة الثَّلاثة السَّابقة بحسب وقوع الأحداث، وهو مطلق الزَّمن، أي وقوع الحدث في الماضي والحاضر والمستقبل، فهو زمن يتخطّى الزمن الواحد ليشتمل على الأزمنة الثلاثة كلّها.

و من الآراء المحدثة المرتبطة بالزَّمن نجد رأي الدكتور مهدي المخزومي الذي قسَّم الزمن باعتبار السِّياق حسب الأدوات والحروف التِّي تدخل على الفعل فخرج بعشرين قسم له (المخزومي ، دت، ص154-160) في الوقت الذي عمد فيه بعض الباحثين إلى دراسة الزَّمن باعتبار الجهة التي تأتي من استعمال الأدوات الدالة على الجهة سواء أكانت حرفية أم فعلية (قد ،لم ،ليس ،كان ..) ،والتي تخصِّص زمن الفعل وتحدِّد جهة الزَّمن فيه فالزَّمن باعتباره وظيفة في السَّياق لا ترتبط بصيغة معينة وتختار لها الصيغة التي تتوافر لها الضمائر والقرائن التي تعين على تحميلها معنى الزمن المعين المراد في السياق (النحاس،1979،ص41-65.) ومن هؤلاء الدكتور تمام حسان الذي درس هو الآخر الزمن وتوصَّل إلى أن الأزمنة في اللغة تتفرَّع إلى ستة عشر زمنا باعتبار الجهة فيكون بذلك الاختلاف بين زمن ، و زمن باختلاف الجهة ،وتتأتى تعبيرات الجهة التي تتفرع على أساسها الأزمنة بزيادة الأدوات الحرفية و النواسخ إلى أفعال (قد ، السين ،سوف،إن وأخواتها ،كان و أخواتها ...) (حسان ،1994، ص 265) .

و يرى برجشتراسر أن اللغة العربية الأكثر تنوعا زمنيا مقارنة بباقي اللغات حيث تتنوَّع أزمنة الفعل لارتباطه ببعض الأدوات الأمر الذي يسهم في تنوع معاني الفعل وأزمنته في اللغة العربية أكثر ممَّا يوجد في سائر أخواتها من اللغات السامية.(عبد التواب ، 1994،ص58) ، و يرتبط الزَّمن النَّحوي بالسياق في حين يرتبط الصرفي بالصيغة باعتبار " الزَّمن النحوي وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة ،أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر ، و الخوالف ، و الزَّمن بهذا المعنى يختلف عما يفهم منه في الصَّرف إذ هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق فلا يستفاد من الصفة التي تفيد موصوفا بالحدث ولا يستفاد من المصدر الذي يفيد الحدث دون الزَّمن حين يستفيد الزمن الصرفي من صيغة للفعل يبدو قاطعا في دلالة كل صيغة على معناها الزمني ... " (حسان ،1994،ص 240).

و يختلف الزَّمن النحوي عن الزَّمان " وأوضح ما يفرق بين الزَّمن والزَّمان, أن الزَّمان كمية رياضيَّة من كميات التوقيت تقاس بأطوال معينة كالثَّواني والدَّقائق والسَّاعات واللَيل والنَّهار والأيام والشُّهور والسِّنين والقرون والدُّهور والحقب والعصور, فلا يدخل في تحديد معنى الصيغ المفردة, ولا في تحديد معنى الصِّيغ في السِّياق, ولا يرتبط بالحدث كما يرتبط الزمن النحوي ؛ إذ يعتبر الزمن النحوي جزءا من معنى الفعل " (حسان ،1994،ص 242)، وهذا الرأي لا يتطابق مع تعريف الزمن المعجمي الذي يجعل الزمن مرادفا للزمان لكن الأرجح أن الاستعمال أجبر على التفريق بين الكلمتين لتتَّخذ كل كلمة اصطلاحا يختلف عن الآخر،ويضمن التفريق بين المعنيين المرادين.

و ما يميز الزمن النحوي عن سواه هو ارتباطه عضويا بممارسة الكلام ،و تحدُّده وانتظامه كوظيفة للحديث إنَّه الزَّمن الذي يؤطر النص ليبلور لحظة تاريخية يرتبط بها الكاتب أو الشاعر وهو الزَّمن المركب للنص من الداخل أي الزَّمنية الخاصة بالعالم المستحضر

و محمد الفيتوري يعد في الواقع ابن هذا العصر العربي، و كانت روحه مليئة بحب الأمة وعطر تاريخها المجيد فتطلَّع إلى النهضة و تمثَّل الماضي؛ حينما نقرأ قصائده ندرك كم كان يبكي كالملايين الأخرى المفجوعة بموت البطل و يصرخ من فوق مآذن القاهرة و

مكة و القدس والمدينة و مآذن الرباط و بغداد و كل المدن و الدساكر لعل صوته المحفِّز يصل الجموع لتسمع بكاءه ونحيبه ، و كان له أمل في أن ينهض المتدثرون بالخيبة، و الخذلان ، والهزيمة و يمشوا إلى البلدان المظلومة كفلسطين التي أصبحت هي الجرح و الأمل ، التاريخ الموجود و الدم المسفوك (عاطف ،1995،ص 176),و قد كان أحد رواد الشعر المعاصر وممثِّله من السودان ، وجاء شعره لوحة فنيَّة متميِّزة زمنيا معبرة عن روح العصر .

3. محمد الفيتوري وديوان يأتي العاشقون إليك :

محمد الفيتوري هو مفتاح رجب الفيتوري ولد سنة 1930 م في مدينة الجنينة ، و قد اُختلف حول مولده فتصريحات زوجته تقول أنه ولد سنة 1923م و هناك من يقول أنه ولد سنة 1933 م ، و منهم من يقول أنه ولد سنة 1936 م.

نشأ الفيتوري في الإسكندرية حيث حفظ القرآن ودرس بالمعهد الديني ثم انتقل إلى القاهرة ليكمل تعليمه في الأزهر الشريف في كلية دار العلوم (زهير ،2012)

تقلد الفيتوري عدة مناصب إذ عمل في السودان محرِّرا في صحيفة الجمهورية ،وعاد إلى مصر ليشتغل كذلك بالصَّحافة و قد كتب عدة مقالات سياسية وبعض الموضوعات الاجتماعية والإنسانية(عوض حسان ،2012 ،ص57 ، 59) عدها في أواخر التسعينات عاد إلى السودان وشغل منصب رئيس تحرير مجلة هنا بأم درمان ، و قد تم فصله منها بقرار وزاري ثم رجع إلى القاهرة ، و عمل مستشارا ثقافيا بالسفارة الليبية (حسن صالح التوم ،2002 ، ص 240، 246) ،

نال وسام الفاتح الليبي ،ونال الوسام الذَّهبي للعلوم والفنون والآداب ، توفي الفيتوري سنة 2015م في المغرب عن عمر ناهز 79 ، و كان مقيما حينها مع زوجته المغربية فهو قد تزوَّج من سودانية أوَّلا ، و كان له منها ولد و بنت ثم تزوَّج من فلسطينة و أنجب منها ،و أخيرا تزوَّج مغربية . (حسن صالح التوم ،2002 ، ص 241) .

و من بين الدَّواوين الشِّعرية التي أبدعها الشاعر الفيتوري "البطل والثورة والمشنقة" عام 1968، و"سقوط دبشليم" في 1969، والمسرحية الشعرية "سولارا "سنة 1970، و"معزوفة لدرويش متجول" سنة 1971، و"ثورة عمر المختار" عام 1973، و"ابتسمي حتى تمر الخيل" في 1975، و"عصفورة الدم" سنة 1983، و"شرق الشمس ..غرب القمر" في 1985، و"يأتي العاشقون إليك" سنة 1989، و"قوس الليل.. قوس النهار" عام 1994 (زهير حمداني ،2012).

وديوان "يأتي العاشقون إليك" سنة 1989 يقع ضمن 157 صفحة موزعة على 17 قصيدة تميز الفيتوري فيه بنقلة نوعية من حيث الغنائية و الأسلوب ومقومات أخرى تجسِّد وعي الشاعر بالتحولات العربية و عمله المستمر لاتِّخاذ موقع مميَّز من خلال تبنيه قضاياه و تطلعاته (الحسن ،2016، ص23).

4. الزمن الداخلي للحدث في ديوان يأتي العاشقون إليك:

في القصيدة قد يطغى الزمن الماضي للحدث على الحاضر أو العكس أو يحدث توازن بينهما أو ندرة لأحدهما أو لكليهما و قد يستعمل الحاضر دلالة على الماضي .

و كان ذلك واضحا في شعر الفيتوري ، و يمكن إحصاء الزَّمن الفعليِّ في قصائده التي تضمنها الديوان كما يوضح الجدول:

القصائد	زمن الماضي	زمن الحاضر	دلالة الحاضر على المستقبل بقرينة	دلالة الحاضر على الماضي بقرينة
الرِّياح	28	24	05	03
التُّراب المقدس	27	20	00	00
إلى نيلسون مانديلا	03	25	03	00
إنها مصر	07	14	00	12
ليس طفلا وحجارة	12	14	01	02
وقال مسعود الحكيم	43	37	00	01
المتنبي	32	48	01	04
إلى فتحي سعيد	15	09	00	02
مقام في مقام العراق	34	13	02	02
ركعتان للعشق	07	23	02	00
بقدر ما تتسع السماء	19	37	04	00
هوانا	10	13	01	00
يأتي العاشقون إليك	33	49	00	26
الرَجل المتحدر	09	16	01	02
رؤيا	08	05	01	01
ذات يوم	00	05	01	00
المماليك	04	04	00	00
المجموع	291	356	22	55

يلاحظ من الجدول :

– سيطرة الزَّمن الحاضر بنسبة 49.17٪ من مجمل الزَّمن مقارنة بزمن الماضي 40.19 ٪ فالشاعر الفيتوري كان واقعيَّ النَّزعة متفاعلا مع حاضره مصوِّرا لمشاكل مجتمعه مع رغبته في التَّغيير والسَّير للأحسن و كان أنسب ما يعبِّر به عن ذلك زمن الحاضر إذ يقول : " لا أرفض القديم لمجرد أنه قديم ، فهو تراث و كل تراث مزيج من السِّلبيات ، و الإيجابيات ، و موقفي منه دائما هو نفض الغبار عن الجوهر الإيجابي فيه ، و استبعاد كل ما هو سلبي و مضاد لحركة الواقع " (نجيب ،1984،ص 207–208).

فهو في قصيدته "إلى نيلسون مانديلا "يبدي إعجابه برئيس جنوب إفريقيا نيلسون مانديلا الذي ناهض نظام الفصل العنصري وكان الأمين العام لحركة عدم الانحياز مظهرا بذلك تقبُّله لواقعه كونه أسود البشرة مطالبا بالتغيير وتفعيل المساواة بين الأجناس : "مانديللا

أيُّها البطلُ الشَّيْخ

مُغْتَسلاً بمياه الثَّمانينَ

مُخْتَبئًا في تَجْلليكَ

أنْهكني سَفَري فيكَ

أعْرِفُ أنَّكَ ضوء على زَمني

هَكذا أنت

فامكثْ كما أنتَ

كُنْ هكَذَا خَالِدا في مَعانيكَ

مُتَكِئًا فوق مَجْد الثَّمانينَ

وابقَ مكانكَ" (الفيتوري ،1992،ص43)

فالشَّاعر أخذ يلوِّن ما يتعلَّق بإفريقيا بلون مشاعره، ويوحِّد تاريخه بتاريخها، ويخلع عليها مأساته الخاصة، ويبصر من خلالها خلاصه المنشود... ويتخلص من أزماته الباطنية ويخلع عليها صراعه النفسيَ المرير (أمين العالم ،دت، ص 03)

فهو يرى أن المسألة معقدة، حيث يقول: فأبي سودانيٌ أسود وأمي ليبيةٌ ابنة واحدٍ من أكبر تجار الرَّقيق في ليبيا في بداية القرن، وكانت جدَّتي من أمي جارية جميلة سوداء تزوَّجها جدِّي وأعتقها. وفي حضن هذه الجدَّة تربيت مدَّة من حياتي متشبعا بتاريخ النخاسة (Thoraval ,1973 , p 113) .

– سيطرة الزَّمن الحاضر على أغلب القصائد بنسبة 55.55 ٪ من مجمل القصائد بما يعادل عشرة قصائد (إلها مصر ،إلى نيلسون مانديلا ،المتنبي ،بقدر ما تتسع السماء ...).

يقول في قصيدة" المتنبي" :

" وسِرتَ غضبانَ في التاريخِ

لا عُنُقٌ إلّا ومنكَ على طيّاتهِ أَثَرُ

تَصْفُو، وتَجْفُو

وتَسْتَعْلِي، وتبتدرُ

وتستفزُّ، وتستثنِي، وتحتقرُ

هذا زمانُكَ..

لا هذا زمانُهُم

فأنتَ معنى وُجُودٍ ليس ينحصِرُ " (الفيتوري،1992،ص78)

و الشَّاعر في القصيدة ركَّز على زمن الحاضر في رمزية منه إلى خلود شخصية المتنبي ، و ترسُّخها في الذِّهنية العربية فيمجِّده ويعلي من شأنه ولعلَّ ذلك راجع إلى تأثره به وعشقه له فهو يقول: " لقد تربيت في حضن الشعر العربي القديم جدا، يعني فترة الصعاليك ، فترة الجاهلية التي تلتها ثم عصور الشِّعر التالية ، هناك شعراء أثيرون لدي جلست طويلا في حضرتهم,و التقيت بهم ، و أنا خاشع أشير إلى الشَّاعر العظيم أبي الطَّيب المتنبي ،وأرفض كل ما قاله النُّقاد حوله أنه كان شاعرا مدَّاحا "(نجيب،1984،ص 186).

و يشحذ الهمم ويبث أملا للتغيُّر عندما يقول :

قُلْ : للمَوْتِ والفُقَرَاء"

– وسِرتَ غضبانَ في التاريخ

لا عُنُقٌ إلّا ومنكَ على طيّاتهِ أَثَرُ

تَصْفُو، وتَجْفُو

وتَسْتَعْلِي، وتبتدرُ

وتستفزُّ، وتستثنِي، وتحتقرُ

هذا زمانُكَ..

لا هذا زمانُهُم

فأنتَ معنى وُجُودٍ ليس ينحصِرُ الشَّمْسُ خالدةٌ

تشقُّ طريقها الأبديةُ

فوقَ سَوَاعِدِ الأحْياءِ والمَوْتَى

وتَبقىَ موجةٌ زرقاءٌ تلطمُ صخرةَ الآباد

تبقَى الرُّوحُ والكلماتُ والأعيادُ

تبقَى هامةً في الجِيلِ

ترْفَعُ كِبرياءَ الجيلِ

فوق تهافُتِ الأمثالِ والأضدادِ

تبقىَ أمة عربية رفعت مصاحفَهَا..

على راحَاتِها

وتدفَّقتْ موجًا من الأمجادِ

تبقى رغم ما حشدَ الصليبُي..

المعربدُ تحتَ رايتهِ

وما أستقوَى بهِ الموتورُ والمأجور والجَّلاد

تبقىَ الأرضُ والأوتادُ

تبقىَ فرحةُ الميلادِ" (الفيتوري ،1992،ص 101-102)

يغلب الزَّمن الحاضر في القصيدة متناسبا مع الرؤية المستقبلية التي يريد الفيتوري رسمها في ذهنية العربي محاولا بذلك أن يزرع الأمل في نفوس الفلسطينيين ،والعراقيين الذين كانوا يعانون الحصار ، و ما نتج عنه و يذكرهم أن للكون إلاه يتولَّى شؤونه و أنَّ الأمة العربية طالما كانت تنهض من رمادها .

– سيطرة الزَّمن الماضي على قصائد أقلَّ بنسبة 33.33٪ ما يعادل ست قصائد (رؤيا،مقام في مقام العراق ،إلى فتحي سعيد ...) .

فهو يقول في قصيدة " الرِّياح " :

" وَلكنَّ ثَمَّةَ في بوخارِسْت بلادي أنَا

لا تزولُ الطَّواغِيتْ

أَقْنِعَةٌ تشرِكُ اللهَ في خَلقِهِ

فهي ليستْ تشيخ

وليْسَتْ تَمُوتْ!

وَقَائمةٌ هي، باسم القضيَّةْ

وَأَنْظِمةِ الخطب المِنْبَريَّةْ

وَحَامِلةٌ هي، سِرَّ الرِّسَالةْ

وَشَمْسَ العدالةْ

وَقَادِرةٌ هي، تَمْسَخُ رُوحَ الجمالْ

ولا تعرف الحقَّ

أو تعرف العدل

أوْ تَعرِفُ الاستِقَالةْ " (الفيتوري ،1992،ص 21-22)

يصف الشَّاعر الحالة السياسية التي يقوم عليها سؤدد الحكم العربي فهو يرى في الحكام طواغيت تتحكم في مصير الناس تحت شعار قضايا الأمة مخبئة باطنها الظُلم والقهر موظِّفا في ذلك الزَّمن الماضي في إشارة منه أن هاته الأنظمة متمسكة بسلطتها لا تريد أن تكون في خبر كان وتترك للشعب الحرية ليقرِّر مصيره ويرفع الذُّل عن نفسه ،والهوان .

و يقول في قصيدة "مقام في مقام العراق" :

"و يظَّلُ العراقُ مدارا

و بغدادُ شمساً..

تضيءُ مدارَ العراقِ

و على درجِ القادسيةِ

قوسٌ من المجد لا يعرفُ الاختراقَ

طاولتهُ يد.. لم تكدْ

ثم لم تقوَ.. و اهترأتْ

واحتواهَا السياقُ

كلُّ ما كان بالأمسِ

أنَّ المغولَ أتوا في الدُجَى

ومضوا في المحاقِ

كلُّ ما كان أنَّ التوابيتَ عادتْ بأمواتها..

خائباتِ السباقِ

كلُّ ما كان

أن طيورَ الزواق الجميل تسَاقطَ عنها الزواقُ

وتقيمُ المقادير فيك احتجاجًا

علَى وطنٍ أبدي الوثاقَ

ضاعَ بين صراعِ المماليكِ والأغواتِ

وفرسانِ عصر الوفاقِ" (الفيتوري ،1992، ص 90 ،91 ،92.)

يذكِّر الفيتوري بتاريخ العراق من معركة القادسية (معركة القادسية هي معركة وقعت في 13 شعبان 15 هـ / 16-19 نوفمبر 636م – بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والفرس بقيادة رستم فرّخزاد في القادسية, انتهت بانتصار المسلمين ومقتل رستم.) التي كان النَّصر فيها للمسلمين في مواجهة الفرس إلى هزيمته على يد الماغول وانتقال الحكم فيما بعد إلى الأتراك وكيف يضيع الوطن إذا بني مجده على الأفراد فيسقط بموت الأفراد فاستمرار المجد يتطلب رجالا تخطط له بناءً محكما لا يقوم عليهم ، ولا يزول بزوالهم موظفا في ذلك زمن الماضي لأنه يتكلم عن أحداث انقضى عهدها .

– غياب كلي للزمن الماضي في قصيدة "ذات يوم" التي يقول فيها :

"ذاتَ يومٍ
كـــلُّهم يـــشعلون أصـــابعهم في الفضاءِ!
ويـــــســـــتـــدفـــئونَ
كُـــلُّهُم يـــنحتونَ تـــماثيلهم في الضبابِ
ولا يـــــســـــأمـــــونَ
كلُهم فلماذا المجاعةُ والدَّمُ والصَّرخاتُ
لـــــمـــــاذا الـــــحـــــروبُ؟
لـــــمـــــاذا ..الـــــجـــــنـــــونُ
كـــــلـــــهُـــــم ذات يـــــومٍ
تـــــغـــــيـــــم ..ســـــمـــــاواتُـــهُـــم
ثـــــمَّ لا ..يـــــمـــــطـــــرونَ " (الفيتوري ،1992،ص 154)

يتكلَّم الفيتوري عن يوم قد يأتي تتغيَّر فيه الأوضاع فالقوة لا تدوم ، و يحاول أن يلفت النظر أنَّ كلَّ ما هو كائن أو سيكون زائل لا يستحق العناء و في تعبيره يوظف زمن الحاضر و المستقبل بما يتناسب مع المعنى لأن النظرة التي يطلب منَّا الرُّؤية من خلالها مستقبلية .

– حضورٌ متساوٍ للزَّمن الماضي والحاضر في قصيدة "المماليك" التي يقول في مطلعها :

"بينَ ما تنسجهُ عيناكَ في الغيبِ..
وبينَ الكلمةِ..
طائرُ فوق سماءٍ من مناقيرِ..
وشمسٌ هرمةٌ
أيُّها الموغل؟
ماذا بعد إيغالكَ
في هذي العصور المظلمةِ.
هو ذا زنيقكَ الشتويُ
والعتمةُ في المرآةِ
والوحشةُ في رحلتكَ المنهزمةِ
هو ذا ظلُّكَّ..
برقٌ همجيٌّ من أغانيكَ..
ولكنَّ المماليكَ بقوا فوق خيولِ الأنظمةِ
لم يزلْ حلمك كثبانًا من الرملَ

وما زال الذين أغتصبوا الإنسانَ
يغتالون باسم الفرح الآتي دمَهُ" (الفيتوري ،1992،ص 156-157)

الحضور المتساوي لزَّمن الماضي والحاضر يترجم دلالة عميقة إلى تساوي الأوضاع بالنِّسبة للشَّاعر إذ يظهر من خلال القصيدة أن الشَّاعر يخلص في النهاية إلى فكرة أن الأمور في السابق ذاتها في الحاضر فالحكام لازالوا طغاة ولا زال الظلم منتشرا ولا زال هناك انتهاك لحقوق الإنسان وأن نضاله للتغيير لم يحدث فرقا .

– حضور مسيطر لدلالة الزَّمن الحاضر على الماضي بنسبة 7.59٪ من مجمل الزمن في الديوان مقارنة بدلالة الزَّمن الحاضر على المستقبل 3.03٪ ، و الشَّاعر في استعماله زمن الحاضر للدلالة على الماضي ، أو المستقبل يوظِّف قرينة تكون علة لبث تلك الدِّلالة .

يقول الفيتوري :

" ليس طفلاً، ذلك الخارجُ
من قُبَّعَةِ الحاخام
من قوس الهزائمْ
ليسَ طفلاً وتمائمْ
إنه العدلُ الذي يكبرُ في صمت الجرائمْ
إنه التاريخُ مسقوفاً بأزهار الجماجمْ
إنه روحُ فلسطينَ المُقاومْ
إنه الأرض التي لم تَخُنِ الأرضَ
وخانتها الطرابيشُ..
وخانتها العمائمْ..
إنهُ الحقُّ الذي لم يَخُنِ الحقَّ
وخانتهُ الحكوماتُ
وخانتهُ المحاكمْ "(الفيتوري ،1992،ص 55-56)

الشاعر يعبِّر عن الطُّفولة المسلوبة في فلسطين عن طفل يكبر رجلا وتسرق طفولته فهو الذي يمثل الصِّدق هو العدل والحق الذي لم يخن ويوظِّف في ذلك زمن الحاضر ممثلا في الفعل (يخن) ويسبقه ب(لم) التي تنفي وقوع الحدث في زمن الماضي فكانت بذلك (لم)هي قرينة القلب.

و يقول في قصيدة إنها مصر :

" لا ترتجفْ...
لم تأتِ من ماضٍ، و لم تذهبِ بعيدًا
أنتَ كمن يحلمُ
كانت تنسجُ الأقدارُ
أرجوحتكَ المزرقَةَ المصفرةَ، السوداءَ
كانت مصر تغرورق بالدمعِ
فتبتل السماوات
وأشجار السماواتِ

وساحاتُ المدائنِ

والتصاويرُ التي ترسمها في الليلِ" (الفيتوري ،1992،ص 58)

لقد انتقلت أسرة الفيتوري من غرب السودان إلى الاسكندرية بمصر وهناك تلقّى الفيتوري تعليمه الأول ،حيث حفظ القرآن الكريم في الكتاب والتحق بالأزهر (منيف ،1985،ص 54–57) فعشق مصر وهام بحبها وفي وصفه لها في القصيدة وظّف الحاضر دالا على الماضي بقرينة (لم) في (لم تأت ،لم تذهب) وبقرينة (كانت) في (كانت تنسج ،كانت تغرورق)،و (تبتل،ترسم) باعتبار العطف في لهجة فيها حنين إلى الطفولة وإلى زمن مضى و ولى.

و يقول :

" فإن أكُن أمس قد غازلتُ أُمنيةً

حيث استوى الصمتُ

أو حيث استوى الضّجرُ

فالمجدُ أعظمُ ايقاعاً

وَربَّ دمٍ يمشي حزيناً

ويمشي إثرهُ القَدَرُ " ((الفيتوري ،1992،ص 82)

الشاعر يوظف زمن الحاضر في (أكن)دالا على الماضي بقرينة (أمس) .

و عندما يقول :

" فلتسمع النُصُبُ الجوفاء والأُطُرُ

هذى الأغاني البواكِي في فمِي نذرٌ

إذا تساقط في أيامهم علمُ

فإنَّ أعلامَ من يأتي ستنتصرُ

وإن يخن خائن فالأرضُ واحدةٌ

برغم من خانَ .. والآلام مُخْتبرُ" (الفيتوري ،1992،ص 79–80)

في قول الشاعر حكمة أن الإنسان يتعلم من تجاربه و نزعة تفاؤلية تعد بالتغيُّر إلى الأفضل مع توظيف لزمن المستقبل فيما يتناسب مع المعنى إذ يقرن الشاعر زمن الحاضر بقرينة (السين) ليعبر عن زمن المستقبل.

و يقول :

"العراقُ

الملاحمُ لا تنتهِي

والرؤَى ثورةٌ

والحضورُ ائتلاف

ويظلُّ العراق مداراً

وبغداد شمساً .." (الفيتوري ،1992،ص 90)

يوظِّف الشَّاعر الحدث في زمن الحاضر(تنتهي) ليعبِّر به على دلالة المستقبل بقرينة (لا) التي تنفي الحدوث في المستقبل وذلك عندما يصرخ بنزعة قومية ترى في العراق شموخا لا يزول .

وعندما يقول :

" لكنَّهم مثلُ الذئابِ الجائعاتِ أتَوا
و لن تبقَى الذئابُ غدًا
ولن يبقىَ العواءُ
فارفعْ جبينكَ عاليًا فوق السماءِ
بقدر ما تسع السماء
بقدر ما تسع السماء "(الفيتوري ،1992،ص 114-115)

بنزعة تفاؤلية يخاطب الفيتوري العربي أنَّ الاحتلال لا يدوم ويدعوه إلى رفع جبينه متخذا من الذئب رمزا للعدو ومن عوائه رمزا لضعف بطشه موظفا زمن الحاضر في (تبقى) ليدل على المستقبل بقرينة (لن) التي تنفي الحدوث في المستقبل .

و يدل على زمن المستقبل انطلاقا من الحاضر بقرينة (قد) عندما يقول

" ولقدْ تصْلبك النازيةُ السوداءُ
في أقبية العصرِ الجديدِ
وعلى من غرسُوا القضبانَ في عينيهِ
أن لا يتألمَ
وعلى من شهدَ المأساةَ
أن لا يتكلمَ!" (الفيتوري ،1992،ص 59 ،60)

5. خاتمة:

يعدُّ الزَّمن اللغوي من الأساليب الفنية و الجمالية لإنشاء الدلالة فالزَّمن اللغوي ينقسم إلى زمن صرفي يرتبط بدلالة الصيغة وآخر نحوي له دلالة مغايرة يكتسبها من السياق ، و تتأتى معبرة عن الحالة النفسية للشاعر محركة ذهن القارئ للتأمل و التمعن وهو المجال الأوسع لخلق الدلالات المتنوِّعة والمميزة ، و يمكن القول بعد ذلك :

1) أن ارتباط الحدث بالزمن ارتباط نسبي باعتبار أن السياق يمكنه قلب الدلالة الزمنية للحدث بتوظيف القرائن المختلفة.
2) استعمال الزمن الحدثي عند الفيتوري كان له دلالته المميزة ، و المتمايزة إذ تمتع بدلالته الزمنية الموضوع لها أصلا حينا و دلالات زمنية أخرى اكتسبها من بعض عناصر السياق حينا آخر .
3) وُظف الفعل الماضي ، و المضارع بما يناسب سياق الماضي ، أو الحاضر كما وظف الحاضر مسبوقا ب(كان ،أمس ،لم..) في بعض المواضع دالا على الماضي ، ووظف الحاضر دالا على المستقبل بسبقه ب (لا ،قد،لن ....)، و هذا التوظيف المتنوع للفعل أدى إلى تنوع الزمن الداخلي له ممَّا ولَّد جمالية في شعر الفيتوري ناتجة عن التَّنوع و الاختلاف .
4) أبدع الفيتوري في توظيف الزَّمن في مختلف حالاته وخلق بذلك دلالات إضافية زادت من فاعلية المتلقي .

6. قائمة المراجع :

- **المراجع العربية:**

1. تمام حسان،اللغة العربية معناها ومبناها ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،المغرب ،1994.
2. جيرار جهامي ، مفهوم السببية بين المتكلمين والفلاسفة بين الغزالي وابن رشد دراسة وتحليل ،منشورات دار المشرق، بيروت ، 1968.
3. حمادة حسين صالح ، دراسات في الفلسفة اليونانية، ج2 ، دار الهادي، بيروت، ط 1، 2005 .
4. حسام الألوسي ، الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم المؤسسة العربية ،للدراسات والنشر، بيروت ، ط 1 ، 2005.
5. حسن صالح التوم ، الاتجاه الافريقي في الشعر السوداني المعاصر، ط 1 ، 2002.
6. رمضان عبد التواب،التطور النحوي في اللغة العربية محاضرات برجشترآسر،مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط2 ،1994 .
7. لويس معلوف،المنجد في اللغة ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت،ط19،دت.
8. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور،لسان العرب،م 13،دار صادر،بيروت،دط،دت.
9. محمد الحر، ابن سينا، دار الكتب، بيروت،1991.
10. محمد الفيتوري ،ديوان يأتي العاشقون إليك،دار الشروق،بيروت،ط1 ،1992.
11. محمود أمين العالم، مقدمة ديوان –أغاني إفريقيا المجموعة الكاملة–، دار العودة، بيروت ،دط،دت.
12. مصطفى النحاس ،دراسات في الأدوات النحوية ،شركة الربيعات للنشر،الكويت ،ط1 ،1979.
13. مهدي المخزومي ،في النحو العربي نقد وتوجيه،المكتبة العصرية ،صيدا،بيروت ،دط،دت.
14. موسى منيف ،محمد الفيتوري شاعر الحس،والوطنية والحب،دار الفكر اللبناني،بيروت ، ط1 ،1985 .
15. صالح نجيب،محمد الفيتوري والمرايا الدائرية،الدار العربية للموسوعات،ط1 ،1984.
16. عبد الحميد خطاب،الغزالي بين الدين والفلسفة،المؤسسة الوطنية،الجزائر،1986.
17. عبد الرزاق قسوم، مفهوم الزمان في فلسفة ابن رشد، المؤسسة الوطنية، الجزائر،1986.
18. عراقي عاطف ،العقل و التنوير في الفكر العربي المعاصر ، المؤسسةالجامعية للدراسات و النشر، بيروت ،ط1 ،1995 .
19. عوض حسان،الشعر السياسي في العالم العربي،جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا،2002.

- **مواقع الانترنيت:**

20. زهير حمداني ،2012 ،حمد الفيتوري صوت إفريقيا العربي،
https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2012/4/29/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%AA%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D8%B5%D9%88%D8%AA-%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A

- **المراجع الأجنبية :**

21. Comri. B, Tense, Cambridge University Press, Fourth published,1990.

- **الدوريات الاجنبية:**

22. Revue tunisienne , ALIF n 3 novembre 1973, p 113, Yves Thoraval.